

سلسلة الدروس (١٤)

١٤٤٨ هـ

شَرَّاح

نَفْسِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلْحَافِظِ

أَبِي الْفَتْحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرٍو كَشِيرِ الْقُرَشِيِّ الدِّمَشْقِيِّ

(٧٠٠ - ٧٧٤ هـ)

الْبَشَنِيَّةُ

رَبِّ مَجْدٍ وَكَرَامَةٍ الشَّيْخِ مُقْبِلِ بْنِ قَادِي اللَّوَارِي

حَفَظَهَا اللَّهُ تَعَالَى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

□ أسئلة وأجوبة الدرس (١) □

١. بماذا أثنى أهل العلم على تفسير ابن كثير؟

قال الشوكاني رحمته الله: وَتَفْسِيرُهُ مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحْسَنَهَا. وَقَالَ الشُّيُوطِيُّ رحمته الله: وَلَمْ يُؤَلَّفْ عَلَى نَمَطِهِ مِثْلُهُ. وقال الزرقاني: لم يؤلف على نمطه مثله، والزرقاني متأخر بعد السيوطي. وأثنى عليه الشيخ ابن باز والشيخ الوادعي وغيرهم.

٢. من عبارات والدي في الثناء على «تفسير ابن كثير»؟

يُعْتَبَرُ مَرْجِعًا فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ، وَفِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَفِي الْأَحْكَامِ، وَفِي الْعَقَائِدِ، وَقَدْ نَقَلَ عَنْ أَصُولٍ لَيْسَتْ فِي مُتَنَّاوَلِنَا. وَيَمْتَازُ تَفْسِيرُهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ تَفْسِيرِ الْمُتَأَخِّرِينَ بِأُمُورٍ: ذَكَرُ الْحَدِيثِ بِسَنَدِهِ فِي الْغَالِبِ.

حُكْمُهُ عَلَى الْحَدِيثِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ.

تَرْجِيحُ مَا يَرَى أَنَّهُ الْحَقُّ.

عَدَمُ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْقَصَصِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَثْبُتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي صَحِيحِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرُبَّمَا ذَكَرَهَا وَسَكَتَ عَلَيْهَا، وَهُوَ قَلِيلٌ.

تَفْسِيرُهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى طَرِيقَةِ سَلَفِ الْأُمَّةِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَعْطِيلٍ.

إِسْتِيعَابُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْآيَةِ.

٣. من مختصرات تفسير ابن كثير؟

«عُمْدَةُ التَّفْسِيرِ» لِأَحْمَدَ شَاكِرٍ، «مُخْتَصَرُ الصَّابُونِيِّ» وَلَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» للمباركفوري.

٤. هل تغني المختصرات عن الأصل؟

لا؛ لأن الأصل يشتمل على علوم غزيرة، وأما المختصرات فإنه يحتاجها المبتدئ، وأما طالب العلم فلا يشبع نهمته إلا الأصل.

٥. ماذا عن مختصر الصابوني لتفسير ابن كثير؟

عِيبَ عَلَى الصَّابُونِيِّ: أَنَّهُ قَامَ بِاخْتِصَارِ «تفسير ابن كثير» وَلَيْسَ أَهْلًا لِذَلِكَ؛ فَهُوَ جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ يَقُومُ بِالتَّفْسِيرِ وَاخْتِصَارِهِ إِلَّا وَهُوَ مُتَضَلِّعٌ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَإِلَّا وَقَعَ فِي كَوَارِثَ، وَبَنَى تَفْسِيرَهُ عَلَى غَيْرِ أَزْمَةٍ. **وقد تكلم عليه الشيخ الألباني** ورد عليه برد قوي، وجهله في علم الحديث، ووصمه بسرقة العلم، ومما أنكر عليه أيضًا أنه عزا حديثًا من الأحاديث إلى كتاب «لسان العرب»، وتكلم عليه الشيخ مقبل **رحمته**، وقال: **فَلَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا ذَكَرَ الْحَدِيثَ بِدُونِ سَنَدِهِ وَيَكُونُ ضَعِيفًا؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَكَذَلِكَ تَحْرِيفُهُ لآيَاتِ الصِّفَاتِ، وَكَانَ أَسَاءَ إِلَى التَّفْسِيرِ إِسَاءَاتٍ كَثِيرَةً.**

٦. من قال من السلف: لولا أني لقيت مالكا والليث لضللت؟

عبد الله بن وهب.

٧. هل يذكر ابن جرير الآثار بأسانيدھا في تفسيره؟

نعم، وكان هذا من مميزاته على «تفسير ابن كثير».

٨. هل يعتمد على الأحاديث الإسرائيلية؟

ما جاء منها مفصلاً في شرعنا يُقبل، وما لم يرد فيه شيء فتوقف فيه، ونؤمن بما جاء في الكتب السابقة على وجه الإجمال، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

٩. ألا يدل قول النبي ﷺ: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ» إباحة القصص الإسرائيلية مطلقاً؟

لا يُراد منه الإطلاق، ولكن ما جاء في القرآن وصح في السنة.

١٠. من الأسانيد التي تتكرر في تفسير ابن كثير؟

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ شَيْخِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَهُوَ مَجْهُولٌ.

١١. قول والدي: (وَكَذَا تَفْسِيرُ السُّدِّيِّ)؟

إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي صاحب التفسير.

١٢. ما حال السدي؟

السدي الكبير حسن في الحديث، ضعيف في التفسير، أما السدي الصغير فمحمد بن مروان متروك.

١٣. هل يستطيع أن يتدبر العلم وهو لا يعرف معناه؟

معرفة المعاني تعين على تدبر القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢)

خطبة الكتاب

قَالَ الشَّيْخُ، الْإِمَامُ، الْعَالِمُ، الْعَلَّامَةُ، الْأَوْحَدُ، الْبَارِعُ، الْحَافِظُ، الْمُتَّقِنُ، عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ: إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْخَطِيبِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ كَثِيرٍ الْبَصْرَاوِيُّ الشَّافِعِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي افْتَحَ كِتَابَهُ بِالْحَمْدِ، فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝^(١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝^(٢) مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ۝^(٣)﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝^(١) قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝^(٢) مَلِكِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝^(٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝^(٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝^(٥)﴾ [الكهف: ١-٥].

وافتتح خلقه بالحمد، فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝^(١)﴾ [الأنعام: ١].

وَاخْتَمَمَهُ بِالْحَمْدِ، فَقَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ مَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١].

فَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، أَي: فِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَمَا هُوَ خَالِقٌ، هُوَ الْمُحْمَدُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا يَقُولُ الْمُصَلِّي: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»^(١).

وَلِهَذَا يُلْهِمُ أَهْلَ الْجَنَّةِ تَسْبِيحَهُ وَتَحْمِيدَهُ كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفْسَ^(٢)، أَي: يُسَبِّحُونَهُ وَيُحَمِّدُونَهُ عَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ عَظِيمِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَتَوَالِي مَنِّهِ، وَإِحْسَانِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ دَعَوَلَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ

(١) «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ» رواه مسلم (٣٤٦/١) من حديث عبد الله بن أبي أوفى، و(٣٧٤/١) من حديث

أبي سعيد الخدري، ومن حديث ابن عباس. ومن حديث علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) رواه مسلم (٢٨٣٥) من حديث جابر.

دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ [يونس: ٩-١٠].

حاشية بنت الشيخ مقبل الوادعي

قوله ﷻ: (الْأَوْحَدُ) أي: فريد عصره.

وفي هذه الخطبة-أي: مقدمة الكتاب-الكلام على الحمد لله، وفضل هذا الذكر.

قوله ﷻ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي افْتَحَ كِتَابَهُ بِالْحَمْدِ) وفي هذه العبارة ما يفيد أن الحافظ

ابن كثير ﷻ يرى أن ترتيب سور القرآن توقيفي، وليس اجتهاداً من الصحابة رضي الله عنهم، وقد اختلفوا على قولين في هذه المسألة.

وافتح الله سبحانه عدة سور بالحمد لله: في سورة الفاتحة، وسورة الأنعام، وسورة الكهف، وسبأ، وفاطر. وهذه خمس سور.

وختم سبحانه أربع سور بآيات فيها الحمد:

الإسراء، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي

الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وفي سورة النمل: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

وفي الصافات، قال تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١-١٨٢].

﴿١٨٢﴾ [الصافات: ١٨١-١٨٢].

وفي الزمر، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر: ٧٥).

قول الحافظ ابن كثير: (وافتتح خلقه بالحمد) واستدل بسورة الأنعام.

(واختتمه بالحمد) وذكر الآية في سورة الزمر.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ دليل أن حمد الله سبحانه يكون في الأولى والآخرى، وأنه لا ينقطع حمد الله سبحانه بفناء الدنيا.

قوله: كَمَا يَقُولُ الْمُصَلِّي: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ».

هذا يقوله المصلي في كل ركعة، وقد يقتصر على الذكر: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»، وهذا أيضًا ذكر عظيم؛ كما أخرج البخاري (٧٩٩) عن رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزَّرْقِيِّ، قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةَ وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَتَدَرُّونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلَ».

(مِلءَ السَّمَوَاتِ) منصوب على الحال، ويجوز فيه الرفع على أنه نعت لـ (الحمد).

(وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ) بعد مبني على الضم؛ لقطعه عن الإضافة لفظا ونية معناه.

وفي هذه المقدمة للحافظ ابن كثير فضل قول: الحمد لله، والحث عليه.

ومن فضائله: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا» رواه مسلم (٢٢٣). «تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» ميزان الأعمال.

ومن المواضع التي ينبغي التذكير بها:

أن من وفق لشيء يقول: الحمد لله، كما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ بِإِيلِيَاءٍ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ، وَلَبَنٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، قَالَ جَبْرِيلُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَذَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ» روى البخاري (٤٧٠٩)، ومسلم (١٦٨).

أيضاً من تجددت له نعمة يستحب أن يقول: الحمد لله، كما في قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْلِحُ بَيْنَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بْنِ الْحَارِثِ»، وَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ بِلَالٌ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: حُسِبَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَوَمَّ النَّاسُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنْ شِئْتُمْ، فَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَصَلَّى، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ يَشْقُهَا شَقًّا، حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فَأَخَذَ النَّاسُ بِالتَّصْفِيحِ - قَالَ سَهْلٌ: هَلْ تَذَرُونَ مَا التَّصْفِيحُ؟ هُوَ التَّصْفِيقُ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لَا

يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا التَّفَتَ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّفِّ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ مَكَانَكَ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى وَرَاءَهُ، وَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَلَّى. رواه البخاري (١٢٠١)، ومُسلِمٌ (٤٢١). ما طابت نفس أبي بكر ﷺ أن يؤمَّ والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ موجود، فرجع القهقري، وتقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يؤم الناس.

قال الحافظ في «فتح الباري» (١٦٩/٢): فِيهِ اسْتِحْبَابُ حَمْدِ اللَّهِ لِمَنْ تَجَدَّدَتْ لَهُ نِعْمَةٌ وَلَوْ كَانَ فِي الصَّلَاةِ. اهـ.

وهذا من الأذكار التي ينبغي الإكثار منها، والله ﷻ محمود، وله الحمد على كل حال. قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (٢٢١): والرب سبحانه حمده قد ملأ السموات والأرض وما بينهما وما بعد ذلك، فملأ العالم العلوي والسفلي والدنيا والآخرة، ووسع حمده ما وسع علمه، فله الحمد التام على جميع خلقه، ولا حكم يحكم إلا بحمده، ولا قامت السموات والأرض إلا بحمده، ولا يتحول شيء في العالم العلوي والسفلي من حال إلى حال إلا بحمده، ولا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار إلا بحمده، كما قال الحسن رحمه الله عليه: لقد دخل أهل النار النار، وإن حمده لفي قلوبهم، ما وجدوا عليه سبيلا.

وهو سبحانه إنما أنزل الكتاب بحمده، وأرسل الرسل بحمده، وأمات خلقه بحمده، ويحييهم بحمده؛ ولهذا حمد نفسه على ربوبيته الشاملة لذلك كله، فالحمد لله

رب العالمين. وحمد نفسه على إنزال كتبه، فالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب.

وحمد نفسه على خلق السموات والأرض، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام]. وحمد نفسه على كمال ملكه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ
(١)﴾ [سبأ]، فحمد ملاً الزمان والمكان والأعيان، وعمّ الأقوال كلها، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ
حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا
وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)﴾ [الروم]، وكيف لا يحمد على خلقه كله، وهو ﴿الَّذِي أَحْسَنَ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ (١)﴾ [السجدة]، وعلى صنعه، وقد أتقنه، ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ
شَيْءٍ﴾ [النمل]، وعلى أمره، وكله حكمة ورحمة وعدل ومصلحة، وعلى نبيه، وكل ما
نهى عنه شر وفساد، وعلى ثوابه، وكله رحمة وإحسان، وعلى عقابه، وكله عدل وحق،
فلله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله. اهـ.

وقوله: (وَلَهَذَا يُلْهَمُ أَهْلَ الْجَنَّةِ تَسْبِيحَهُ وَتَحْمِيدَهُ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ) تفسيره قال
هنا: (أي: يُسَبِّحُونَهُ وَيُحَمِّدُونَهُ عَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ عَظِيمِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَكَمَالِ
قُدْرَتِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَتَوَالِي مَنَنِهِ، وَإِحْسَانِهِ). فأهل الجنة يسبحون الله ويحمدونه
عدد أنفاسهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١) دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ
اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٠﴾ [يونس: ١٠].

المتن

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله:

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﷺ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿النساء: ١٦٥﴾، وَخَتَمَهُمُ بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ الْمَكِّيِّ الْهَادِي لِأَوْضَحِ السَّبِيلِ، أَرْسَلَهُ إِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْ لَدُنْ بَعَثْتَهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿الأعراف: ١٥٨﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا نُنْذِرُكُمْ بِهِهٖ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. فَمَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ وَأَسْوَدَ وَأَحْمَرَ وَإِنْسٍ وَجَانٍّ فَهُوَ نَذِيرٌ لَهُ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِهٖ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧]، فَمَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ مِمَّنْ ذَكَرْنَا فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ بِنَصِّ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ»^(٣).

(٣) رواه مسلم (٣٧١/١) من حديث جابر.

قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي: الْإِنْسَ وَالْجِنَّ؛ فَهُوَ-صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-رَسُولُ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، مُبَلِّغًا لَهُمْ عَنِ اللَّهِ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

حاشية بنت الشيخ مقبل الوداعي

قوله: (وَحَتَمَهُمُ بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ) الْأُمِّيُّ: بالتشديد (إِمَّا نِسْبَةً إِلَى الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ الَّتِي لَا تَكْتُبُ وَلَا تَحْسِبُ، وَهُمْ الْعَرَبُ، أَوْ نِسْبَةً إِلَى الْأُمِّ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى حَالَتِهِ الَّتِي وُلِدَ عَلَيْهَا لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ الْمَكْتُوبَ، وَقِيلَ: نِسْبَةً إِلَى أُمِّ الْقُرَى، وَهِيَ مَكَّةُ) كما في «فتح القدير» (٢/٢٨٧).

وَالْأُمِّيُّ: الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، كأنه على أصل ولادة أمه بالنسبة إلى الكتابة. كما في «القول البدیع فی الصلاة علی الحبيب الشفيع» (٨٥) للسخاوي. وينظر: «مفردات القرآن» (٨٧) للراغب الأصفهاني.

(ولا يقرأ المكتوب). يعني الخط لا يقرؤه. ولا نتعجل سيمر بنا في موضعه إن شاء الله.

وقوله: (مَنْ لَدُنْ بَعَثْتَهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ) أَي: رسالته عامة منذ بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
(١٥٨) ﴿[الأعراف: ١٥٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. فَمَنْ
بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ وَأَسْوَدَ وَأَحْمَرَ وَإِنْسٍ وَجَانٍّ فَهُوَ نَذِيرٌ لَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧] وهذه جملة من
الأدلة ذكرها الحافظ ابن كثير تدل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مرسل إلى
جميع الثقلين: الإنس والجن، فرسالته عامة، ومن رَدَّه فقد كفر بالقرآن وكان خالداً
مخلداً في النار إن مات على ذلك، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾
﴿فَلَا﴾ [هود: ١٧].

(فَمَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ مِمَّنْ ذَكَرْنَا) يشير إلى عبارة: (فَمَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ
وَأَسْوَدَ وَأَحْمَرَ وَإِنْسٍ وَجَانٍّ) فمن كفر بالقرآن من هؤلاء فالنار موعده.

وقوله: (قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي: الْإِنْسَ وَالْجَنَّ) تفسير مجاهد أخرجه أحمد في
«المسند» (٢٢٥/٣٥) إثر حديث لأبي ذر رضي الله عنه، وسنده حسن؛ من أجل ابن إسحاق،
وهو مدلس ولكن قد صرح بالتحديث، وهذا أحد ما فُسر به هذا الحديث، أن الأحمر:
الإنس، والأسود: الجن.

وفيه قول آخر: كما في «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٣٠٢/٢): أن المراد إلى
العرب وهم السود، وإلى العجم وهم الأحمر؛ إذ الغالب على ألوانهم ذلك. اهـ.

هذا قول آخر؛ لأنهم يقولون ألوان العرب تميل إلى الأدمة، والعجم حمر اللون يعني: بيض، الأحمر: الأبيض.

المتن

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله:

وَقَدْ أَعْلَمَهُمْ فِيهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ نَدَبَهُمْ إِلَى تَفْهَمِهِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ
الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢)
[النساء: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ
أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) [ص: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ
أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) [محمد: ٢٤].

حاشية بنت الشيخ مقبل الوادعي

قوله: (وَقَدْ أَعْلَمَهُمْ فِيهِ) أي: أعلمهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(فِيهِ) أي: في القرآن.

(فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا
فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) [النساء: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) [ص: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا
يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) [محمد: ٢٤] هذه ثلاث آيات في الحث

على تدبر القرآن، وأيضاً قوله سُبحَانَهُ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
ءَابَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، فهذا فيه حث القارئ على تدبر القرآن.

وابن القيم رحمه الله يقول:

فتدبر القرآن إن رمت الهدى... فالعلم تحت تدبر القرآن

المتن

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله:

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْكَشْفُ عَنْ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ، وَطَلَبُهُ مِنْ مَظَانِّهِ،
وَتَعَلُّمُ ذَلِكَ وَتَعْلِيمُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَبَشَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل
عمران: ٧٧]. فَذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَنَا بِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ إِلَيْهِمْ،
وَإِقْبَالِهِمْ عَلَى الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا، وَاشْتِغَالِهِمْ بِغَيْرِ مَا أُمُّرُوا بِهِ مِنْ اتِّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ.

فَعَلَيْنَا أَتْيَاهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ نَنْتَهِيَ عَمَّا ذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَأَنْ نَأْتِمِرَ بِمَا أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
مِنْ تَعَلُّمِ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ إِلَيْنَا وَتَعْلِيمِهِ، وَتَفْهَمِهِ وَتَفْهِيمِهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿*أَلَمْ يَأْنِ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد: ١٦-١٧]، ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما أنه يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، كذلك يُلَيِّنُ الْقُلُوبَ بِالْإِيمَانِ وَهُدًى بَعْدَ قَسْوَتِهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَاللَّهُ الْمُؤَمِّلُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَفْعَلَ بِنَا ذَلِكَ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

حاشية بنت الشيخ مقبل الوادعي

قوله: (فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْكَشْفُ عَنْ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ...) التفسير لغة: من الفسر وهو الكشف عن المغطى وفي الاصطلاح: بيان معاني القرآن الكريم. كما في «أصول في التفسير» (٣٢) للشيخ ابن عثيمين.

(مِنْ مَظَانِّهِ) أي: مواضعه. في «مختار الصحاح» (١٩٧): (مَظَنَّةٌ) الشَّيْءُ مَوْضِعُهُ وَمَأْلَفُهُ الَّذِي يُظَنُّ كَوْنُهُ فِيهِ، وَالْجَمْعُ (الْمُظَانُّ).

فهذا من الحق والواجب على أهل العلم بيان تفسير كتاب الله ﷻ وتوضيحه.

واستدل الحافظ ابن كثير بهاتين الآيتين: الآية الأولى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُشِّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٧٧﴾﴾، والثانية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا

يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

قال السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن» (٤/١٩٩): وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ التَّفْسِيرَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ. اهـ.

فهذا يدل على أن تفسير القرآن فرض كفائي.

(وَتَعَلَّمْ ذَلِكَ) وهذا أيضًا من الواجب تعلم التفسير.

(وَتَعْلِيمُهُ) تعليم التفسير، فهذه ثلاثة أمور:

تفسير القرآن وبيان للناس.

تَعَلَّمُ التفسير.

تعليمه.

ويشمل هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩]،

يشمل تلاوة ألفاظه وتعلم معانيه وتعليمه، فعلم التفسير فن عظيم، وهو ميسر يشمله

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]

[١٧] [القمر: ١٧].

قال السعدي رحمه الله في «تفسيره» (٨٢٥): ولهذا كان علم القرآن حفظًا وتفسيرًا،

أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أُعِينَ عليه،

قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيعان [عليه]؟ ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١٧). اهـ.

ومعرفة المعاني يجعل للتلاوة لذة وحلاوة، ويعين على التدبر، وتثبيت الحفظ في الذهن، فنسأل الله ﷻ أن يفهمنا كتابه وسنة نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(فَعَلَيْنَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ نُنْتَهِيَ عَمَّا ذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ) من ذم الله سبحانه؟ أهل الكتاب.

(وَأَنْ نَأْتِمِرَ بِمَا أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ تَعَلُّمِ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ إِلَيْنَا وَتَعْلِيمِهِ، وَتَفْهَمِهِ وَتَفْهِيمِهِ) هذا فيه الحث على فهم القرآن، وتفهمه، وتفهميه.

الفهم: فِطْنَةٌ يَفْهَمُ بِهَا صَاحِبُهَا مِنَ الْكَلَامِ مَا يَقْتَرِنُ بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، كما في «فتح الباري» (١/١٦٥).

والتفهم: في «مختار الصحاح» (٢٤٤): وَ(تَفْهَمَ) الْكَلَامَ فَهَمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. اهـ. فقد لا يفهم من أول اطلاعه، فيحتاج إلى أن يتفهم ويعيد النظر، وقد يحتاج إلى بحث في الكتب حتى يفتح الله عليه.

والتفهم: تفهيم الغير وتوضيح المعنى له.

(فَفِي ذِكْرِهِ تَعَالَى لَهُدًى الْآيَةِ بَعْدَ الَّتِي قَبْلَهَا):

التي قبلها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ﴾ (١٧).

(كَذَلِكَ يُلَيِّنُ الْقُلُوبَ بِالْإِيمَانِ وَاهْدَى بَعْدَ قَسْوَتِهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي) هذا يفيد أن الداعي إلى الله يعلم الناس، ولا ييأس من تقبلهم وانقيادهم، فالله سبحانه قد يغير الحال، فكما أنه يحيي الأرض الميتة بإنزال المطر ونباتها، قد يحيي قلوباً ميتة قاسية بالذكر؛ فإن الذكر حياة للقلوب.

كما نستفيد أيضاً: أن الذي يحيي الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى، وقد ذكر الله ﷻ هذا في آيات من كتابه، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِجَتْ مِنْ زَوْجٍ بَهِيحٍ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٥-٦].

ونستفيد من طريقة الحافظ ابن كثير:

أن السلف قد يتكلمون في تناسب الآيات والترابط بينها، من حيث ذكر هذه الآية بعد التي قبلها، وهذا فن من علوم القرآن.

قال السيوطي رحمه الله في «الإتقان في علوم القرآن» (٣/٣٦٩): وَعِلْمُ الْمُنَاسَبَةِ عِلْمٌ شَرِيفٌ قَلَّ اعْتِنَاءُ الْمُفَسِّرِينَ بِهِ؛ لِذِقَّتِهِ، وَمَنْ أَكْثَرُ فِيهِ الْإِمَامُ فخر الدين. وقال في تفسيره: أَكْثَرُ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ.

قال: وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي «سِرَاجِ الْمُرِيدِينَ»: ارْتِبَاطُ آيِ الْقُرْآنِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، حَتَّىٰ تَكُونَ كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مُتَّسِقَةً الْمُعَانِي مُنْتَظِمَةً الْمُبَانِي عِلْمٌ عَظِيمٌ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ إِلَّا عَالِمٌ وَاحِدٌ عَمِلَ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ لَنَا فِيهِ، فَلَمَّا لَمْ نَجِدْ لَهُ حَمَلَةً، وَرَأَيْنَا الْخُلُقَ

بأوصاف البطللة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه.

إلى أن قال السيوطي: وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام: المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متّحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يَصَانُ عَنْ مثله حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض. اهـ.

وهناك «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي

ولكن لا يجوز التكلف في تناسب الآيات قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، فقد لا يخلو من التكلف في بعض الأحيان؛ فلهذا القارئ يكون على حذر.

وقوله: (وَاللهُ الْمُؤَمِّلُ) أي: الذي يُرجى.

(إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ) جاء في بعض الأحاديث إن الله جواد يحب الجود كما روى الترمذي (٢٧٩٩) من طريق سعيد بن المسيب، يقول: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَظَفُّوا - أَرَاهُ قَالَ - أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَسْبَهُوا بِالْيَهُودِ» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «نَظَفُوا أَفْنِيَتَكُمْ». حسنه

الألباني كما في «مشكاة المصابيح» (٤٤٨٧).

وذكره ابن القيم في «النونية»، وقال:

وَهُوَ الْجَوَادُ فَجُودُهُ عَمَّ الْوُجُودَ... جَمِيعُهُ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

وَهُوَ الْجَوَادُ فَلَا يَخِيبُ سَائِلًا... وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرَانِ